

الوحدة الإسلامية في القرآن الكريم وتطبيقها في هذا العصر

Asst. Prof. Dr. Necmettin Çalışkan

تمهيد

تأتي أهمية المواضيع التي يذكرها القرآن الكريم من حيث انه القطب الأعظم, التي تدور عليه حياة المسلمين أمرا ونهيا, وإنما يقاس التزام المسلمين بدينهم بمقدار التزامهم بقرانهم. من ذلك ندرك أهمية ما يرد في القرآن من أوامر, ونواهي. ومن القضايا المهمة التي تناولها القرآن, مسألة وحدة المسلمين, والحث عليها, وخطورة تفرقهم, وتحذيرهم منها. وتزداد أهمية المسألة في هذا الوقت العصيب, الذي تفرقت فيه الأمة الإسلامية, وتعاني ما تعانيه بسبب هذه الفرقة. وفي هذا البحث سنرى كيف كانت مسألة الوحدة الإسلامية في القرآن مبنية على قواعد وأسس متينة من العقيدة, والعبادة, والأخلاق. وكذلك كيف حصن القرآن الوحدة بأسيجة عديدة تحميها, وتحافظ عليها إذا حدثت مشاكل قد تؤدي للتفرق. وكان نتيجة التزام المسلمين في صدر الإسلام بتعاليم القرآن أن زالت الفرقة والخصومة التي كان يتخبطون فيها.

وسنرى في هذا البحث :

- 1- معنى الوحدة الإسلامية في القرآن .
- 2- الأسس التي قامت عليها الوحدة الإسلامية في القرآن.
- 3- الآيات التي أمرت بوحدة الأمة الإسلامية .
- 4- كيف حصن القرآن المسلمين من التفرق وكيفية علاجه إن حدث.
- 5- ضرورة الوحدة للمسلمين في معاشهم.
- 6- ما يؤدي إلى التفرق .
- 7- أضرار التفرق.
- 8- التوصيات لاستعادة الوحدة الإسلامية.

وكان الهدف من بحثنا :

- 1- توضيح مسألة وحدة الأمة الإسلامية والأسس التي قامت عليها في القرآن.
- 2- إمكانية الانتقال من الأمر القرآني بالوحدة إلى التطبيق الواقعي لها - رغم المعوقات والموانع- بوسائل واقعية.

أولاً-معنى وحدة الأمة الإسلامية:

(الوحدة) هي الانفراد, والتميز, والتوحد, يقول الراغب في مفرداته شارحا الوحدة انها:

"الانفراد ، والواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتة" (الراغب الأصفهاني - المفردات في غريب القرآن- دار القلم - دمشق بيروت- الطبعة: الأولى - 1412 هـ - ج 1 ص 857)

وفي المصباح المنير يذكر ان احد معانيها التميز

و"كُلُّ شَيْءٍ عَلَى حِدَةٍ أَيْ مُتَمَيِّزٌ عَنْ غَيْرِهِ" (أحمد بن محمد الحموي- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير- المكتبة العلمية - بيروت ج2-ص650)

ويذكر ابن منظور :

"وَحَكَى سَيِّوِيَه: الْوَحْدَةُ فِي مَعْنَى التَّوْحُدِ " (جمال الدين ابن منظور الأنصاري- لسان العرب -دار صادر - بيروت -الطبعة الثالثة - 1414 هـ ج3 ص 449)

وكان الأمة الإسلامية عندما تتوحد على أسس قرآنية تنصهر في كيان واحد متميز عن غيره غير قابل للتجزؤ قال تعالى:

"وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ" المؤمنون 52

-أما (الأمة) فهي الجماعة, قال الراغب:

" وقوله تعالى : لَيْسُوا سِوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ أَي : جماعة"

" وقوله : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ أَي : قائما مقام جماعة في عبادة الله" (الراغب الأصفهاني - المفردات في غريب القرآن- دار القلم - دمشق بيروت-

الطبعة: الأولى - 1412 هـ - ج 1 - ص 87)

والإسلامية :هي نسبة للإسلام.

وعلى الرغم من كثرة المتكلمين عن الوحدة الإسلامية إلا انه لم يتم تحديد معناها اصطلاحيا بشكل واضح , و كان ممن شرح معناها الإمام محمد أبو زهرة في كتابه عن الوحدة الإسلامية ليفيد :

أن معنى الوحدة الإسلامية أن نعتبر أنفسنا مهما تناءت الديار مرتبطين بروابط وثيقة, تمتد جذورها في أعماق أنفسنا , وهي مبادئ الإسلام وشعائره وعبادته وعقيدته . لا نقصد بالوحدة دولة واحدة فقط ولكن أخوة شاملة.

إن الوحدة تتحقق بما يلي:

الأمر الأول: أن تتحد مشاعرنا جميعاً في الإحساس بأننا إخوة بحكم الإسلام،

والأمر الثاني: وحدة ثقافية ولغوية واجتماعية, تجمع بين المشاعر والأحاسيس , يتفق فيه على ما فيه رفعة الإسلام وعزة المسلمين.

والأمر الثالث: أن لا يكون من إقليم إسلامي حرب على إقليم آخر سواء كانت هذه الحرب بالاقتصاد أم بالسيف، (محمد أبو زهرة-الوحدة الإسلامية-المكتب الفني للنشر-القاهرة1958-صفحة29-30-38 بتصرف)
وتم تعريفها أيضا:

" أن يتحد المسلمون ويعتصموا جميعاً بالكتاب والسنة ,في حالة من التآلف والاحترام المتبادل بينهم، وتوجيه طاقتهم نحو بناء الإسلام والذود عنه من كل خطر يترتب به" (مرفق ياسين- ندوة الإيمان الخامسة- جامعة الإيمان-اليمن-1429)
ويمكن أن نعرف وحدة الأمة الإسلامية أنها:
ارتباط روعي ثقافي اجتماعي اقتصادي بين المسلمين, يكفل لهم تطبيق دينهم وتحقيق مصالحهم ويحميهم من أعدائهم.

2-الأسس التي قامت عليها الوحدة الإسلامية في القرآن.

يورد القرآن ثلاثة أسس تنهض عليها وحدة الأمة الإسلامية تضمن نشوء وحدة قوية متماسكة هي :

1- العقيدة

2- العبادة

3- الأخلاق

وسيتضح بعد تفصيل الكلام فيها مدى تماسك المجتمع الإسلامي إن اعتمد القرآن منهاجا

أولاً- العقيدة:

تمثل العقيدة الأساس الذي يجتمع عليها المسلمون ويتوحدون. و تمنحهم هذه العقيدة نظرة شاملة للكون من حيث الإيمان بالله, وملائكته, وكتبه, ورسله, واليوم الآخر. كما تعطيهم وحدة شعورية أنهم جسد واحد في يسرهم وعسرهم. تتبع وحدة المسلمين في الأساس من توحيدهم لله سبحانه وتعالى, الذي يجتمعون على توحيدهِ إلهاً, وربما, يقول تعالى:

"إن هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون".

إذا" الإسلام دين وحدة ووحداية" (محمد أبو زهرة-الوحدة الإسلامية-المكتب الفني للنشر-القاهرة1958-صفحة8)

وأركان الإيمان في القرآن جاءت في آخر سورة البقرة,

قال تعالى:

"وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ "البقرة285

ويرد الإيمان باليوم الآخر في نهاية الآية مفهوما من "واليك المصير"

أما القدر ففي قوله تعالى:

" قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ " التوبة 51

فهو إيمان بالله, وملائكته, وكتبه, ورسوله, واليوم الآخر, والقدر خيره وشره من الله تعالى. إن وجود أفكار واحدة واضحة, وغير متناقضة عن الخالق, والحياة, والمعاد, يعطي وحدة, وتماسكا بين البشر الذين يؤمنون بهذه العقائد, من هنا ينطلق شعور المسلمين "إنما المؤمنون إخوة" الحجرات 10.

وينبه القرآن إلى أن الاختلاف في العقائد يؤدي إلى التفرق, قال تعالى:

" إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (159) الإنعام

فكما أن الاجتماع على العقيدة الصحيحة يوحد المسلمين, فإن فساد عقيدتهم, والاختلاف فيها لن يؤدي إلا إلى التفرق والتشردم.

ثانيا- العبادة

إذا كان القرآن وحد المسلمين شعوريا من خلال العقيدة كما رأينا, فإن ترجمة هذه الوحدة الشعورية إلى سلوك عملي إنما يتم من خلال العبادات, والأخلاق, فإن ثمرة الإيمان هي العبادات,

قال تعالى :

"وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون" الذاريات 51

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " البقرة 21

فالإيمان بخالقك يقتضي منك تلبية أمره في العبادة, وهنا تظهر الوحدة الإسلامية في القرآن من خلال أمهات العبادات وهي: الصلاة والزكاة والصيام والحج.

وسنرى تفصيل ذلك مع كل عبادة على حدة.

1- الصلاة:

أول مظاهر الوحدة في صلاة المسلمين, من خلال أمر الله لهم جميعا بها, فهم متحدون في تلقي الأمر الذي يرد بصيغة الجماعة, يقول تعالى:

" وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ " البقرة 43

ثم يأتي الأمر بصلاة الجماعة, وضرورة الالتزام بها, وكذلك الصلوات العامة, كصلاة الجمعة, والعيدين, والاستسقاء, يقول تعالى:

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ " الجمعة 9
فالمسلمون في صلاتهم أذانهم واحد, وقبلتهم واحدة,

يقول تعالى:

" قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ " البقرة 144

ويجتمعون على إمام واحد في المساجد, حركاتهم واحدة, وكذلك صفوفهم ومكان سجودهم, لا فرق بين غني أو فقير أو رئيس أو مرؤوس.

2-الزكاة

لظالما اقترنت الزكاة بالصلاة في أوامر القرآن إلا في ثلاث مواضع, وما ذلك إلا لبيان أهمية الزكاة, فإذا كانت الصلاة عبادة بدنية فإن الزكاة عبادة مالية تتعلق بمال المسلم, فالمسلم هو عضو ايجابي في مجتمعه, ويلتزم بحقوق الأخوة التي أمره الله بها من خلال بذل ماله, يقول تعالى:

" وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاِكِعِينَ "البقرة 43

إن مجتمعا عبادة أفراده أن يدفعوا أموالهم في مساعدة أبناء مجتمعهم لن يكون إلا مجتمعا متماسكا, متحدا, لا حسد أو بغضاء من قبل الأغنياء على الفقراء, أو تكبر, واستعلاء من طرف الأغنياء تجاه الفقراء.

وهو تطبيق عملي للطهارة الذي ذكر الله أنها ناتج لدفع الزكاة التي وردت في قوله تعالى:

" خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " التوبة 103

هي إذا:

طهارة لنفس الغني من الشح ,

وطهارة لقلب الفقير من البغضاء والحسد ,

وطهارة للمجتمع من عوامل التفكك والتفرق.

3-الصوم

قال تعالى:

"يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون" البقرة 183
فعبادة الصيام إمساك بدني عن الشهوات, وامتناع نفسي عن الموبقات, مما يعطي شعورا في الوحدة والتضامن بين الأغنياء و
الفقراء, فالمسلمون لهم موعد واحد لرمضان, كما أنهم يمسون عن المفطرات في وقت واحد, ويفطرون كذلك في وقت واحد.

4-الحج

فرضه الله على القادرين عليه بقوله تعالى:

" وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ " ال عمران 97

ومما يميز الحج انه يجمع بين العبادة البدنية, والعبادة المالية, كما أن الوحدة الإسلامية تظهر فيه بشكل واضح في الزمان, والمكان,
والأفعال, والأقوال, فالحجاج وفي وقت واحد يقصدون مكانا واحدا هو أماكن المشاعر المقدسة في مكة, ويقومون بأفعال واحدة

بدءا من الطواف, والتلبية بألفاظ واحدة, و مرورا بتجردهم عن المخيط ليلبسوا ثيابا واحدة, ويقفوا متحدين على صعيد عرفات, ثم يتابعوا
رمي الجمار, والمبيت بمنى وكأنهم جسد واحد.

إن الوحدة الإسلامية في الحج تتجلى فيه بأبهى صورها ., (عطية محمد سالم-مرتكزات التضامن والوحدة-الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة-
العدد 61-1404 هجري-الصفحات 10-11-12 بتصرف)

فهو اجتماع لمدوبين من العالم الإسلامي جميعه, لا فرق فيه بين غني أو فقير, أو رئيس ومروؤوس, أو قومية وأخرى .

-بذلك نكون قد رأينا أسلوب القران في توحيد الأمة الإسلامية في العبادات من صلاة, وصيام, وزكاة, وحج,
لنصل إلى الأساس القرآني الثالث في توحيد الأمة الإسلامية من خلال الأخلاق التي أمر بها القران.

-الأخلاق:

هو الأساس الثالث من أسس الوحدة التي شرعها القران الكريم ,فبعد اجتماع المسلمين على عقيدة وعبادة واحدة, تأتي الأخلاق القرآنية لتجمع المسلمين, وتوحدهم شعوريا ,وعمليا من خلال الأخلاق الفاضلة التي نتيجتها تماسك الأمة الإسلامية ,وكذلك البعد عن الأخلاق الفاسدة التي يكون مآلها العداوة والتفرق.

وأمهات فضائل الأخلاق في القران هي:

-حسن الخلق والكلام الطيب ,

يقول تعال:

" وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا " الاسراء 52

-دفع السيئة بالحسنة ,

يقول تعالى:

" وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ " فصلت 34

- العفو والصفح ,

- يقول تعالى:

" وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " النور 22

- الإيثار,

- يقول تعالى:

" وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ " الحشر 9

كما دعا القرآن المسلمين للصدق, والأمانة, والوفاء بالعهد, وبقيّة الأخلاق القرآنية الطيبة, التي تكفل للأمة الإسلامية أن تعيش في وحدة, وتماسك وتكون قادرة على تجاوز أي مصاعب قد تعترضه .

ولقد حذر القرآن الأمة الإسلامية من الأخلاق السيئة, التي قد تكون نتائجها التفرق والتفكك ,

قال تعالى:

" وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ " الانفال 46

3- الآيات التي أمرت بوحدة الأمة الإسلامية :

اعتنى القرآن الكريم بالوحدة الإسلامية عناية فائقة, من حيث الترغيب فيها, وبيان ثواب ذلك, والترهيب من الفرقة, وبيان عقاب ذلك .
1- قال تعالى:

(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا

واذكروا نعمة الله عليكم إذا كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا.

ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) آل عمران 103-104-105

يفسرها الطبري بقوله:

" يُرِيدُ بِذَلِكَ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَتَمَسَّكُوا بِدِينِ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ، وَعَهْدِهِ الَّذِي عَهْدَهُ إِلَيْكُمْ فِي كِتَابِهِ إِلَيْكُمْ مِنَ الْأُلْفَةِ وَالِاجْتِمَاعِ عَلَى كَلِمَةِ الْحَقِّ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ " (محمد بن جرير الطبري- تفسير الطبري- دار هجر الطبعة: الأولى، 1422 هـ - ج 5 ص 643)

ويبسط الرازي الكلام في تفسير هذه الآيات ثم يقول:

"والتَّحْقِيقُ مَا ذَكَرْنَا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ النَّازِلُ فِي الْبَيْرِ يَعْتَصِمُ بِحَبْلِ تَحَرُّرًا مِنَ السُّقُوطِ فِيهَا، وَكَانَ كِتَابُ اللَّهِ وَعَهْدُهُ وَدِينُهُ وَطَاعَتُهُ وَمُؤَافَقَتُهُ لِجَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ حِرْزًا لِصَاحِبِهِ مِنَ السُّقُوطِ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ جَعَلَ ذَلِكَ حَبْلًا لِلَّهِ، وَأَمَرُوا بِالِاعْتِصَامِ بِهِ"

و" أَنَّهُ نُهِيَ عَمَّا يُوجِبُ الْفُرْقَةَ وَيُزِيلُ الْأُلْفَةَ وَالْمَحَبَّةَ " (فخر الدين الرازي- مفاتيح الغيب- دار إحياء التراث العربي - بيروت- الطبعة الثالثة - 1420 هـ الجزء 8- صفحة 311-312)

ويقول ابن عاشور " أَمَرَهُمْ بِمَا فِيهِ صَلَاحٌ أَنْفُسِهِمْ لِأَخْرَاجِهِمْ، بِأَمْرِهِمْ بِمَا فِيهِ صَلَاحٌ حَالِهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ، وَذَلِكَ بِالْاجْتِمَاعِ عَلَى هَذَا الدِّينِ وَعَدَمِ التَّفَرُّقِ لِيَكْتَسِبُوا بِاتِّحَادِهِمْ قُوَّةً وَنَمَاءً. وَالْإِعْتِصَامُ افْتِعَالٌ مِنْ عَصَمَ وَهُوَ طَلَبُ مَا يَعِصِمُ أَيَّ يَمْنَعُ. وَالْحَبْلُ: مَا يُشَدُّ بِهِ لِلارْتِقَاءِ، أَوْ التَّدَلِّي، أَوْ لِلنَّجَاةِ مِنْ غَرَقٍ، أَوْ نَحْوِهِ، وَالْكَلَامُ تَمَثِيلٌ لِهَيْئَةِ اجْتِمَاعِهِمْ وَالتَّفَافِيهِمْ عَلَى دِينِ اللَّهِ وَوَصَايَاهُ وَعُهُودِهِ بِهَيْئَةِ اسْتِمْسَاكِ جَمَاعَةٍ بِحَبْلِ أُلْقِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ مُنْقَذٍ لَهُمْ مِنْ غَرَقٍ أَوْ سُقُوطٍ " (محمد الطاهر بن عاشور - التحرير والتنوير -الدار التونسية للنشر - تونس1984- ج 4 ص31)

فالآية صريحة في وجوب التمسك بحبل الله, والذي هو كتاب الله, وطاعته, ودينه, ووحدة المسلمين, والتحذير من الفرقة, مع الاعتبار بمصير الأمم السابقة لئلا يصيب المسلمين ما أصابها.

2-ويقول تعالى :

(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم) الحجرات13.

يفسرها سيد قطب قائلا:

" يا أيها الناس. والذي يناديكم هذا النداء هو الذي خلقكم.. من ذكر وأنثى.. وهو يطلعكم على الغاية من جعلكم شعوبا وقبائل. إنها ليست للتناحر والخصام. إنما هي التعارف والوئام. فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات. وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله. إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم، ويعرف به فضل الناس:

«إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» (سيد قطب في ظلال القرآن دار الشروق - بيروت- الطبعة: السابعة عشر - 1412هـ - ج6-ص3348)

إن التنوع العرقي والجغرافي يجب أن يكون سببا للتعارف المفضي للمحبة, والتآلف, وليكون التمايز بين الناس من حيث خيريتهم لا أعراقهم وبلدانهم,

3- قال تعالى:

(إنما المؤمنون إخوة) الحجرات: 10.
"أَنَّ الْأُخُوَّةَ الدِّينِيَّةَ أَعْظَمُ وَأَقْوَى مِنَ الْأُخُوَّةِ النَّسَبِيَّةِ" (محمد الأمين الشنقيطي- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن -دار الفكر- بيروت-1415 هـ -ج-7ص412)

ويقول السعدي :

"هذا عقد، عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي شخص كان، في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون، ما يحبون لأنفسهم، ويكرهون له، ما يكرهون لأنفسهم" (عبد الرحمن بن ناصر السعدي - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تحقيق عبد الرحمن اللويحق - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى 1420 هـ - ج1 - ص800)

فالأخوة ليست كلاما يقال, وإنما تعاون وتضامن فيما بينهم لجلب الخير لإخوانهم ودفع الشر عنهم, وهي ليست انتقائية أو مزاجية يمنحها المؤمن لمن أحب, ويحرمها من كرهه, بل إن "الأخوة الدينية لفظ جامع ينتظم كل من صح له عقد الإسلام كائناً ما كان خطؤه" (سلمان العودة-فقه المواقف-المكتبة الشاملة-نسخة د-صفحة 18)

فهذه الأخوة تعني أن يتحد المسلمون في آلامهم وأمالهم مهما تباعدت ديارهم واختلفت أسنتهم وأشكالهم كما أنها ليست كلام يقال وإنما أفعال تصدق الأقوال
4-يقول تعالى:

" وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) المائدة- 2.

وهل الوحدة إلا تعاون على جلب الخير للأمة الإسلامية ودفع الشر عنها؟

5- ويقول تعالى:

" وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " الانعام 153

يقول ابن كثير:

" قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ وَفِي قَوْلِهِ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ [الشُّورَى: 13] وَنَحْوُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ، قَالَ: أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَمَاعَةِ وَنَهَاهُمْ عَنِ الْاِخْتِلَافِ وَالتَّفَرُّقِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ بِالْمِرَاءِ وَالْخُصُومَاتِ فِي دِينِ اللَّهِ " (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير- تفسير القرآن العظيم - المحقق: محمد حسين شمس الدين- دار الكتب العلمية-بيروت -الطبعة: الأولى - 1419 هـ -ج3 ص224)

إن الطريق الذي أمر الله بانتهاجه مفض للوحدة ,على عكس السبل الضالة ,والتي لا تنهي إلا بالتفرق عن سبيل الله ,ومنهاجه,
انه الصراط الذي يدعو المسلم به ربه في كل فاتحة يقرأها ,
يقول تعالى:

"اهدنا الصراط المستقيم" الفاتحة-6

6-قال تعالى:

"وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ
الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ" الحج 78
وهو أمر للأمة الإسلامية بعبادة الله المقترنة بالتمسك بشرعه وجماعته.

7- "إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ" 92 الأنبياء

"وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ" 52 المؤمنون

ف"الأمة: الملة، وهذه إشارة إلى ملة الإسلام، أي: إن ملة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تتحرفون عنها، يشار إليها ملة واحدة غير مختلفة" (الزمخشري جار الله -الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل- دار الكتاب العربي - بيروت -الطبعة: الثالثة - 1407 هـ -ج3 ص134)

فأمة الإسلام متحدة تتبع وحدتها من المعبود سبحانه وتعالى .

9- قال تعالى:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ" البقرة 208

"وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنَ السِّلْمِ هُنَا الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّ وَيُرَادُ السِّلْمُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ يَأْمُرُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ أَنْ اتَّصَفُوا بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ بِأَنَّ يَكُونَ بَعْضُهُمْ حَرْبًا لِبَعْضٍ كَمَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَبِتَنَاسِي مَا كَانَ بَيْنَ قَبَائِلِهِمْ مِنَ الْعَدَاوَاتِ" (محمد الطاهر بن عاشور - التحرير والتنوير -الدار التونسية للنشر - تونس1984- ج2ص278)

فالإسلام أسس لأمة غير تلك التي كانت تقتل بعضها أربعين سنة من اجل ناقة،إنها امة جديدة متحدة ومسالمة متحابية .

بذلك نكون قد عرضنا أوضح الآيات التي حثت المسلمين على الوحدة بطريق سلسة واضحة تذكرهم بماضيهم المملوء شقاء وفرقة و حاضرهم المتحد السعيد مع الاعتبار والاتعاظ بمصائر أمم تفرقت واختصمت وان ذلك انما يتم بالتمسك بدين الله ووحدة الامة الاسلامية التي تربطها اخوة روحية تتفوق على اخوة النسب اخوة ليست مجانية وانما مليئة بالتعاون على الخير والاتفاق على دفع الشر

3-كيف حصن القران المسلمين من التفرق وكيفية علاجه ان حدث

وكما حث القران على الوحدة فانه يحذر المسلمين من الفرقة بقوله:

(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) الأنفال: 46.

يقول القرطبي :

" هَذَا اسْتِمْرَارٌ عَلَى الوَصِيَّةِ لَهُمْ، وَالْأَخْذِ عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي اخْتِلَافِهِمْ وَتَنَازُعِهِمْ. (فَتَفْشَلُوا). (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) أَي قُوَّتُكُمْ وَنَصْرُكُمْ"

(القرطبي -الجامع لأحكام القرآن دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ-ج8-ص 24)

أما الرازي فيقول في هذه الآية:

" بَيْنَ تَعَالَى أَنَّ النَّزَاعَ يُوجِبُ أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ يُوجِبُ حُصُولَ الْفَشْلِ وَالضَّعْفِ.

وَالثَّانِي: قَوْلُهُ: وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَفِيهِ قَوْلَانِ: الْأَوَّلُ: الْمُرَادُ بِالرَّيْحِ الدَّوْلَةُ" (الرازي-فخر الدين الرازي- مفاتيح الغيب- دار إحياء التراث العربي -

بيروت- الطبعة الثالثة - 1420 هـ-ج 15 ص 489)

فالفشل وذهاب القوة والنصر, وبالتالي زوال دولة الإسلام, هي نواتج حتمية للنزاع والفرقة.
وفي آية أخرى يعلن الله براءة نبيه صلى الله عليه وسلم من أهل الفرقة والتشردم بقوله تعالى:
(إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) الأنعام: 159.

- وإذا تحققت الوحدة الإسلامية من خلال التمسك بحبل الله, وتطبيق مقتضيات الإخوة الحقيقية ثم حصل بعد ذلك ما يعكر صفو هذه الأخوة, فإن الله قد شرع للمسلمين أن يصلحوا فيما بينهم ويزيلوا الخلافات.
- بالتحاكم الهادئ للشرع أولاً .

(وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) الشورى: 10.

(فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) النساء: 59.
- ثم بالإصلاح بين المتنازعين

- وإذا تعذر الإصلاح فالواجب هو الإنحياز للمظلوم ودفع الظالم ولو بقتاله.
يقول تعالى:

(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصِلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (9) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) الحجرات 9-10

فكما أمر الله المسلمين بالوحدة فقد نهاهم عن التفرق, و أوجب عليهم إزالة كل أسباب الفرقة إن حدثت بين فريقين مسلمين, ولا يجوز أن يقفوا متفرجين على خلافات إخوانهم, بل أن يصلحوا بينهم بإنصاف, وان ظلم احد الفريقين الآخر بعد ذلك يمنعوه من هذا الظلم ولو بقتاله . فالفرقة منعها الإسلام وقائيا بالتحذير منها ,وعلاجيا بإزالتها إن حدثت.

5-ضرورة الوحدة للمسلمين في معاشهم.

للوحدة أهمية قصوى في القران ,من حيث إنها واجب شرعي يثاب المسلمون على فعلها ويعاقبون على تركها. وكذلك فان أهميتها الدنيوية مفصلية من حيث تطور المسلمين ,وتخلصهم من مشاكلهم المزمنة التي يعانون منها. ولا يمكن التركيز على الجانب العاطفي فحسب ,في حشد المسلمين خلف وحدتهم ، فنتائج العاطفة سريعة الظهور سريعة الزوال . "إن إثارة العواطف لا تثمر عملا منظما بل رَدات فعل هائجة غير متعقلة" (نزار الموسوي-مقالة الوحدة الإسلامية-مجلة النبأ-العدد45-ايار2000) وهذا ما يفسر لنا فشل كثير من المشاريع الوحدوية منذ انهيار الخلافة العثمانية .

فلم يهمل الإسلام مصالح البشر ومنافعهم "ولا تشغل العبادات وشعائرها والإيمان بالغيبات إلا جزءا منه فحسب". (محمد المبارك- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة -السنة العاشرة، العدد الرابع-صفحة42).

فكما أن للنصوص الدينية أهميتها, كذلك فإن المصالح والمنافع لها اعتبارها , وأهميتها في الترغيب في هذه الوحدة واستمرارها.

ان من تأمل حال المسلمين وهم متحدون ,وقارنه بحالهم الآن وهم متفرقون يدرك منافع الوحدة بوضوح.

وان أي عمل جماعي يعود على الناس بالنفع يكون ادعى لاستمراره, وتمسك الناس به ,فجيش قوي ,واققتصاد معافى ,وسياسة خارجية محترمة, وأعداء يفكرون كثيرا قبل القيام بأي عدوان غاية يرنوا إليها جميع المسلمين.

"إِذَا تَفَرَّقَ الْقَوْمُ فَسَدُوا وَهَلَكُوا وَإِذَا اجْتَمَعُوا صَلَحُوا وَمَلَكُوا ; فَإِنَّ الْجَمَاعَةَ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةَ عَذَابٌ" (أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة - مجموع الفتاوى - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية 1416هـ-جزء 3-صفحة421)

فهذا"العصر هو العصر الذي تتجمع فيه الدول ويحسب كل إقليم انه مأكول إن لم يكن في جماعة من الأقوياء" (محمد أبو زهرة-الوحدة الإسلامية-المكتب الفني للنشر-القاهرة1958-صفحة 23).

يقول ابن عاشور"التخلق بالاتحاد يكسب الأمة اتجاها نحو صوب واحد في تدبير شؤون مجتمعهم فيبذل كل فرد منتهى ما عنده من الآراء والمسااعي لنفع الجميع,ويكسب أعمالها صفة الصلاح "و"يكسب شوكتها هيبية في أعين العدو" (محمدًا لطاهر ابن عاشور-أصول النظام الاجتماعي في الإسلام-المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر-صفحة135)

ويمكن رؤية منافع الوحدة على دول الاتحاد الأوربي ,وفي اتحاد الألمانيتين ,ورؤية مضار التفرق على كثير من الأمم الأخرى, والاستفادة من خبرات الأمم الأخرى والاعتبار بها مطلوب شرعا قال تعالى :

" ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات" آل عمران اية105

فاكبر منفعة مباشرة لوحدة المسلمين هي قطع يد الاستعمار عنهم الذي أفقرهم ونهب ثرواتهم , وكذلك منع الاقتتال بين أبناء الدين الواحد مع التفات المسلمين لما فيه مصلحتهم وتنمية بلادهم.

6- ما يؤدي إلى التفرق:

إن التشخيص الصحيح للمرض هو أول خطوة للعلاج الصحيح ..

ويكاد يجمع الباحثون الذين كتبوا في هذا المجال على أسباب ثلاثة تمنع قيام الوحدة وهي الاستعمار و النعرات القومية والطائفية .

يقول الإمام محمد أبو زهرة:

"ولئن تفحصنا أسباب الافتراق لنتلافها لنجدنها في أمور تتعلق بتلك العنصرية الجنسية والأهواء الفكرية" (محمد أبو زهرة-الوحدة الإسلامية-المكتب الفني للنشر-القاهرة1958-صفحة31)

أما السيد محمد حسين فضل الله فيذكر "اليد الاستعمارية والهوس الطائفي" و"الهوس القومي"كموانع للوحدة (محمد حسين فضل الله-عوامل تمزق المسلمين وإشكالية الوحدة-)

ومن الممكن تقسيم موانع الوحدة إلى خارجية وهي الاستعمار , وداخلية وهي النعرات القومية والطائفية ,نضيف إليها مانعا ثالثا هو المصالح الضيقة لأفراد أو جماعات.

أ-السبب الخارجي :

الاستعمار

والذي إن انتهى شكلا بسحب جيوشه إلا انه بقي من خلال الذين صنعهم على عينه وخلفهم بين المسلمين ليتحكموا في مفاصل القرارات في معظم الدول الإسلامية.

وكذلك من خلال الشركات متعددة الجنسيات المسيطرة على استخراج وتسويق الثروات الباطنية.

لقد فتحت ثروات العالم الإسلامي الوفيرة شهية المستعمر للسيطرة عليه ,واستغلاله ونهب هذه الثروات .

وقد نبه القرآن على وجوب اخذ الحيطة والحذر من مكائد أولئك الأعداء التي إن نجحت فإن نتيجتها نتيجتها الفرقة والضلال

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ " ال عمران 100

" وَذُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً " النساء 89

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ كَمَا تَدَاعَى الْقَوْمُ إِلَى قَصْعَتِهِمْ" (أبو داود رقم الحديث 4297).

ومن ينظر في ماضي المسلمين وحاضرهم يجد أن هذا المستعمر لا يدخر جهدا في حياكة المؤامرات وتنفيذها لأي مشروع ,أو تفكير وحدوي ,لأنهم يعتبرونه تهديدا مباشرا لمصالحهم السياسية والاقتصادية.

" وما زالت المخططات الاستعمارية المغلفة بالواجهات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية تلعب لعبتها، من أجل ألا يقف المسلمون على أقدامهم" (محمد حسين فضل الله-عوامل تمزق المسلمين و إشكالية الوحدة).

قد يفهم المرء لماذا يکید عدوه له, ولكن من غير المفهوم الاستسلام لهذه المكائد وكأنها قدر لا مفر منه؟
ومن السذاجة أن نعتقد أن هذا الاستعمار إنما يقتصر على الاقتصاد فقط, بل انه يمتد ليشمل الثقافة والعادات والموضة.
انه استعمار حتى لكثير من عقول وقلوب أبناء المسلمين.

ب- الأسباب الداخلية:

لا تقل خطورة مشاكل المسلمين الداخلية عن خطورة الاستعمار وما يقوم به ضدنا, وان اخطر ما يوصلنا للتفرق هو:

1- النعرات القومية

2- النعرات الطائفية

3- المصالح الضيقة

وتعتبر هذه الأسباب الثلاثة اخطر ما يكرس التفرق ويمنع التوحد .

1- النعرات القومية:

أدى ظهور النعرات القومية في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين لتعميق فرقة الأمة الإسلامية, فقد تم طرح القومية كبديل للوحدة الإسلامية, ووقف خلفها كثير ممن يريدون مناصبة الإسلام العدا.

ولم يكن أصحاب الفكر القومي كلهم على درجة واحدة من التعاطي مع فكرتهم, فبعض التيارات القومية لا تعادي الإسلام, وإنما تركز على التميز والتفوق من خلال قوميتها.

وبعضهم كان احتماؤه بقوميته كردة فعل على أصحاب القوميات الأخرى, الذين اظهروا استعلاءهم عليهم ,

كردة فعل العرب على بروز فكرة القومية الطورانية في أواخر العهد العثماني.

ومن الضروري طرح الوحدة الإسلامية لا كعدو لفكرة القومية بشكلها الايجابي, وإنما كضرورة دينية , و مصلحة لهذه القوميات والشعوب .

إن "اختلاف الأجناس والألوان والأوطان واللغات والطبقات والثقافات ليس بالضرورة عامل تفريق وتنازع بقدر ما هو عامل تعارف وتكامل وتكافل وإثراء، فالله لم ينهنا عن الانتساب لقبائلنا وأوطاننا ونحو ذلك، وإنما نهانا عن التعصب لها، وأن تكون هي معيار الصواب والخطأ، وأساس الولاء والبراء، وأساس ذلك الإيمان والعمل الصالح" (د. عثمان علي حسن -آثار الافتراق على الأمة الإسلامية- موسوعة البحوث والمقالات العلمية -المكتبة الشاملة- صفحة 41)

فلا تعني الوحدة الإسلامية أن يتم إلغاء التميز الثقافي واللغوي والحضاري لأي مكون من مكونات الأمة الإسلامية.

كما لم يتم تحويل التركي أو الفارسي لعربي, أو العكس, فهو تنوع فطري خلقه الله ليبقى, قال تعالى:

"وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم " الحجرات 13

وفي سورة الروم:

"ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين" الروم آية 22

لقد كان المسلمون امة واحدة, وبقيت القوميات المكونة لهذه الأمة موجودة, بل ازدهرت ونمت في عهد الوحدة الإسلامية, وشهدت هذه القوميات تطورا لغويا وفكريا وثقافيا منقطع النظير.

أما أن تتحول القومية لنصرة عنصرية تفرق بين الناس, وتستعلي عليهم من خلال العرق أو اللغة, فهذا ما لا يقبله الإسلام ولا يقره بل يحاربه وينبذه, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من قاتل تحت راية عُمِّيَّة، يغضب لعصبته، ويقاتل لعصبته، وينصر لعصبته، فقتل، فقتله جاهلية... الحديث" (مسند احمد - رقم 7944)

وكذلك لا يمكن قبول القومية كبديل للإسلام, أو مناهض له.

2- النعرات الطائفية:

احد اخطر معاول الهدم لوحدة هذه الأمة, واحد أهم الأسباب التي أدت للحروب والنزاعات بين المسلمين أنفسهم, بل لقد أصبحت سببا لتكون كثير من الطوائف خنجرا بيد الأعداء.

إن أكبر طائفتين و أشدهما تنازعا تاريخيا وحتى هذه اللحظة هما السنة والشيعة , و لا يعدم كل فريق من توظيف النصوص الدينية والوقائع التاريخية بالطريقة التي تخدمه "فرعاع الناس كانوا دوما وقود النزاعات الطائفية وأداة بيد المغرضين يستغلون تعصبهم الأعمى " (نزار الموسوي-مقالة الوحدة الإسلامية-مجلة النبأ-العدد45-ايار2000).

و تحقيق الوحدة بشرط إلغاء الطائفية تعلق بوهم لا واقع,

"فمن كان يحسب أن اجتماع الأمة يكون باتفاقها العلمي الشرعي على مفردات المسائل وآحادها, وتطابق النظر فيها, فقد رام محالاً , لكن المطلوب أن يكون ثمة اتفاق على الأصول والمحكمات في الشرع الذي جاءت جمهرة نصوص الكتاب والسنة بتقريرها , وتوافر العلماء عليها خلفاً عن سلف , وهو محل الإجماع الثابت المستقر " (سلمان العودة -فقه الموقف- صفحة13).

وعلى من يعمل للوحدة أن يتحرى الفهم والإخلاص في دعوته حتى تجد دعوته قبولا لدى الناس , ف"كثيراً ما نتوجع على الوحدة الضائعة , ونقصد بهذا أن يجتمع الناس على ما نظن وما نرى , وهذا ما لم يتوفر للخاصة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأئمة السلف الصالح" (سلمان العودة -فقه الموقف صفحة13).

فكثير من دعوات الوحدة ومؤتمراتها كانت مشاريع سنية يُدعى الشيعة إليها كضيوف, وفي المقابل كانت دعوات الوحدة والتقريب الشيعية لا تهدف إلا لتشجيع السنة أو احتوائهم ,لذلك تراها مشاريع لم تر النور أو تكتب لها الحياة.

لا تعني الوحدة الإسلامية أن يجر الشيعي ليصبح سنيا ,أو يسحب السني ليصبح شيعيا. فهذا أمر ما نجح من قرون ولا يمكن أن ينجح مستقبلا.

وإنما تتشكل الوحدة من بقاء كل طائفة فيما تعتقده وتؤمن به مع التركيز على ما يجمع وهو كثير لا ما يفرق وهو قليل مع نبذ التعصب والمتعصبين.

إن "التنسيق بين المذهب السني والمذهب الشيعي وهما الأكثر تباعدا بين هذه المذاهب التي ذكرناها أمر ميسور وممكن لعظم الجانب المشترك بينهما وضالة جانب الاختلاف" (محمد المبارك- الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة -السنة العاشرة، العدد الرابع-صفحة47).

لقد كان ما فعله الحسن رضي الله عنه في عام الجماعة من جمع لشمل المسلمين ، وحقنا لدمائهم , عندما تنازل عن حقه في الخلافة لمعاوية رضي الله عنه , أكبر حجة على الأمة الإسلامية سنة وشيعة في إقامة الوحدة , وخفض الجناح لبعضهم , فالجميع يقر بضرورة الاقتداء بسبب رسول الله صلى الله عليه وسلم. (راجع ابن كثير- البداية والنهاية- دار الفكر- دمشق-1986-المجلد الثامن-صفحة16).

وإذا كان القرآن الكريم دعا أهل الكتاب إلى كلمة سواء يتم الاتفاق عليها بينهم وبين المسلمين بقوله تعالى:

"قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله" آل عمران الآية64,

فمن باب أولى أن يتفق المسلمون بطوائفهم على كلمة سواء تجمع بينهم.

لقد توحدت أمم وشعوب لا تملك معشار ما يملكه المسلمون - مع اختلاف قومياتهم وطوائفهم - من مقومات التوحد,

فعلى المسلمين بكل طوائفهم أن يدركوا انه لا يمكن لأحد أن يلغي أحدا .

وان كلفة السيطرة على المخالفين وإخضاعهم لها أثمان باهظة لا تقدر أي طائفة على دفعها .

كما أن منفعة الوحدة والاحترام المتبادل لها من الايجابيات أضعاف ما للحروب والصراعات من منافع إن وجد.

إن بقاء الطوائف وتوحيدها فيما يجمع بينها , وسعيها لسعادة أمتها التي تنتمي إليها , والتفاتها لتطوير نفسها , والتكامل فيما بينها, هو الطريق الوحيد أمامها لتخرج من مستنقع الاقتتال والفقر والتهميش والاستعمار .

3- المصالح الضيقة:

قد تهدد الوحدة الإسلامية مصالح أفراد, أو عائلات, حكمهم و ثروتهم قائمة على تفرق الأمة وتناحرها , بعضهم موجود كظل للمستعمر يفعلون بالوكالة عنه ما يعجز هو عن فعله.

كذلك فان بعض الدول - والتي خصها الله بمزايا اقتصادية - قد ترى في هذه الوحدة سببا لضياع أو نقص هذه الثروات , و لو أنهم فكروا جيدا لوجدوا أن القوة والعزة إنما تكون مع الجماعة , وان ما يتمتعون به من مزايا سيزول عاجلا أم آجلا إن بقوا منفردين ,

لقد حذر القران من إتباع الهوى في الحكم عندما نبه نبيه داود عليه السلام على ذلك بقوله:

" يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا الْحِسَابَ" ص 26

كما أمر القران بأخذ العبرة من الذي فضل مصلحته الضيقة الزائلة على المصلحة العامة الباقية فكانت نتيجته الهلاك والخسران ,

قال تعالى:

" وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ الاعراف

وفي الحديث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية" (ابوداود 547).

فعلى كل مسلم أن يقدم مصلحة أمته الإسلامية على مصلحة جماعته، أو حتى مصلحته الشخصية، فمن مبادئ أخوة الإسلام الإيثار، وكذلك فإن المصلحة التي تعم الأمة هي المصلحة الحقيقية الدائمة.

7- أضرار التفرق:

قد لا يتسع هذا البحث لحصر وشرح المصائب والخسائر التي تلحق بالأمة الإسلامية نتيجة تفرقها، فضلا عن الإثم الشرعي الذي يقع فيه المسلمون جميعا بتفرقهم قال تعالى:

" ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم " الأنفال آية 46

إن بقاء دولة المسلمين وقوتهم مرتبط في القرآن بتوحدتهم أما التفرق فإن الآثار الاقتصادية والسياسية والعسكرية له بالغة الخطورة، وما كان المستعمر ليقدر على فعل ما يفعله من سرقة للثروات، واحتلال للمقدسات إلا من خلال تفرق الأمة.

إن السياسة الخارجية الواحدة لمئات ملايين البشر لا يمكن مقارنتها بسياسة المسلمين المتفرقة، والتي أصبحوا فيها أضحوكة ورمزا للتبعية والضعف.

و رسم سياسة اقتصادية واحدة للأمة الإسلامية من نتائج منع الهدر، وتوفير الطاقات وتوجيهها لتحقيق الوفرة والرفاهية.

إن تفرق الأمة الإسلامية يتم استغلاله بشكل سيئ من أعدائها، ليحرشوا بين شعوبها، ويشعلوا النزاعات القومية، والطائفية قال تعالى :

"قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ" ال عمران (118)

ومن الخطأ التفكير بأن أحدا سيكون بمنأى عن نار هذه الحروب, فالشرر المتطاير سيطل الجميع إن استمرت الفرقة.

8-التوصيات لاستعادة الوحدة الإسلامية:

رأينا فيما سلف خطورة التفرق مع أسبابه وأضراره, وأسس الوحدة في القران وضرورتها, ويبقى أمامنا أن نشير إلى الوسائل, والطرق للوصول لوحدة المسلمين المنشودة.

بعد تفكك الوحدة الإسلامية-سقوط الخلافة-نشأت عشرات الأنظمة التي لديها دساتير, وقوانين ومناهج دراسية, وسياسة خارجية, وتشكيلات عسكرية مختلفة, بل وفي أحيان كثيرة متضاربة ومتقاتلة

و إدراك حجم المشكلة يمنح القدرة على إيجاد الحل المناسب لها, فلم يكن تبسيط الأمور في يوم من الأيام ناجحا في حل المشاكل العويصة.

قد نقدم في هذا البحث مقترحات على طريق الوحدة المنشودة, ولكن المفاتيح النهائية والخطوط الإستراتيجية يجب أن تشرف عليها مراكز للبحوث والدراسات المتخصصة بالوحدة الإسلامية.

كما انه من المهم في طريق الوحدة هو إدراك ضرورتها وأهميتها الدينية والدنيوية, وأول من يدرك ذلك بشكل جيد هم النخبة الإسلامية من علماء ومفكرين .

وهذه النخبة المطالبة بالبدا بمشروع الوحدة يناط بها أمور عظام, فهي من يجب عليها أن تقود عموم المسلمين, وتصنع الرأي العام بشكل متوازن وعقلاني, ولا يجوز لها أن تنساق لخصومات طائفية أو عرقية يشعلها الأعداء وينساق لها الغوغاء, على العكس تماما, حيث يجب أن تكون موجهة ومرشدة للأمة الإسلامية للوصول إلى شاطئ النجاة مهما كلفها ذلك من تعب وعنت.

والواجب على هذه النخبة توليد رأي مجتمعي عام لدى هذه الأمة بضرورة هذه الوحدة (محمد المبارك-الوحدة الإسلامية-الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة-السنة العاشرة-العدد الرابع-صفحة 51).

وخطواتهم في قيام الوحدة الإسلامية:

أولا- إنشاء مركز للوحدة الإسلامية على أسس سليمة قادرة على العمل والإنتاج يكون بعيدا عن الاستقطاب السياسي أو الطائفي, حتى لا يضاف هذا الكيان الجديد إلى ما سبقه من كيانات عقيمة لم تنتج شيئا.

ثانيا- العمل الإعلامي الكثيف والمدرّس الذي يوضح للناس أهمية الوحدة الإسلامية وأضرار الفرقة ويكون ذلك من خلال وسائل الإعلام الحديثة كإنشاء قنوات فضائية متخصصة أو التعاون مع قنوات صديقة وإذاعات ومواقع الكترونية ومجلات علمية, تسعى لتشكيل رأي عام ضاغط على الحكومات يؤمن بالوحدة ويسعى لها.

ثالثا- العمل على المناهج الدراسية وفي كافة مراحلها من أدناها وصولا للدراسات العليا , لتربي الأجيال الناشئة على فكرة الوحدة الإسلامية . ويمكن للأمر أن يكون تدريجيا ليبدأ ب"توحيد مادة الثقافة الإسلامية " (محمد المبارك-الوحدة الإسلامية-الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة-السنة العاشرة-العدد الرابع-صفحة52)

لنشر فكر إسلامي وحدوي, يركز على ما يجمع ثم يتوسع الأمر ليشمل بقية المناهج,و"لن توجد لنا وحدة إسلامية إلا إذا كان قوامها التوحد الثقافي" (محمد أبو زهرة-الوحدة الإسلامية-المكتب الفني للنشر-القاهرة 1958-صفحة51)

رابعا-إيجاد تشريعات وقوانين إسلامية موحدة صالحة للاستخدام في البلدان الإسلامية كتشريعات وقوانين بديلة للقوانين المستوردة ,والمتناقضة التي تطبق الآن في العالم الإسلامي.

خامسا-البدء بعدد من الدول المقتنعة بفكرة الوحدة الإسلامية لتكون نواة صالحة لبقية الأمة ,ومن ثم لتكون نموذجا تحتذي به بقية الدول والشعوب .ويمكن البدء بخطوات توحيد الأمة الإسلامية قبل توحيد دولها, لان وحدة الأمة هي أساس لوحدة الدول.(محمد توفيق الشاوي-مقدمة كتاب فقه الخلافة-مؤسسة الرسالة-صفحة37)

فمن الممكن إذا لنخبة مسلمة أن تبادر للعمل في سبيل الوحدة ضمن الإمكانيات الموجودة حاليا

الخاتمة

تأتي الوحدة الإسلامية التي أسسها القرآن كمخرج وحيد للمسلمين مما يعيشونه من فقر, واستعمار, وحروب طائفية, والوحدة الإسلامية التي فهمناها من القرآن هي ارتباط روعي ثقافي اجتماعي اقتصادي بين المسلمين, يكفل لهم تطبيق دينهم, وتحقيق مصالحهم, وحمايتهم من أعدائهم.

أسس القرآن لهذه الوحدة بالعقيدة والعبادة والأخلاق.

كما انه حصنها من التفكك وقائيا بتحريم النزاع والشقاق وحصنها علاجيا إذا حدثت بالتحاكم لشرع الله ووقوف المسلمين جميعا مع المظلوم وكما أن الوحدة القرآنية ضرورة دينية يأثم المسلمون إن تفرقوا, لها كذلك أهمية قصوى في حياتهم, فاستقرارهم وأمنهم وكفايتهم إنما يكون من خلال وحدتهم, لأن تفرقهم يعود عليهم بأضرار لا قبل لهم بها, من فقر وتهميش وسيطرة للمستعمر عليهم.

-والعوامل التي تؤدي لفرقة المسلمين متعددة فمنها ما هو:

1-خارجي :

وهو الإستعمار

2- داخلي:

وهو

أ-النعرات القومية

ب-النعرات الطائفية

ج-مصالح أفراد أو جماعات تهددها الوحدة

وحتى تكون الوحدة مطلبا واقعيا قابلا للتطبيق فإنه يجب التعامل معهما بطريقة ايجابية وواقعية لا تؤذي هذه الوحدة, فلن تكون القومية عنصرية تستعلي على الآخرين, ولا بديلة عن الإسلام, وإنما كتتنوع حضاري يثري الأمة ووحدها, وكذلك فإن المرفوض في الطائفية التعصب, ليجتمع المسلمون على ما يتفقون عليه وابتعدوا عما يختلفون فيه. ولتكون الوحدة حاضنة لمصالح المسلمين بشكل دائم.

ومن الضروري أن يستغل المسلمون المزايا الوجدوية التي يتميزون بها فهي:

1- معنوية تتمثل في المعتقدات والعبادات والأخلاق التي توحد شعورهم.

2- مادية متمثلة في الجغرافيا المتواصلة, والتاريخ المشترك, والثروات المتنوعة والوفيرة, والكفاءات البشرية.

وتطبيق الوحدة ليس مستحيلا.

بل إن الوحدة ممكنة التطبيق أن تعامل معها المسلمون تعامل واقعيا يوازن بين الماديات والمعنويات, ولا يهمل مراعاة المصالح على حساب العاطفة, ويكون التطبيق بشكل هادئ ومتدرج.

والمخاطب الأول في ذلك هم النخبة الإسلامية, والتي من خلالها سيتم إنشاء مراكز بحثية تعنى بالوحدة, كما تعمل من خلال وسائل الإعلام لنشر ثقافة الوحدة, ويكون ذلك متزامنا مع المناهج التعليمية والتشريعات المتكاملة, بهدف الوصول إلى مجتمع متشبع بفكرة الوحدة يسعى إليها, ويضغط في سبيلها.

المصادر والمراجع

- 1-الأصفهاني-الراغب الأصفهاني - المفردات في غريب القرآن- دار القلم - دمشق بيروت- الطبعة: الأولى - 1412 هـ
- 2-الآلوسي-محمود الآلوسي -روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني -دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة الأولى، 1415 هـ
- 3-ابن تيمية-أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية - مجموع الفتاوى -مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية1416هـ/1995م
- 4-ابن حنبل-مسند الإمام أحمد بن حنبل -تحقيق شعيب الأرناؤوط -الرسالة -الطبعة الأولى، 1421 هـ
- 5-ابن عاشور-محمدًا لطاهر بن عاشور-أصول النظام الاجتماعي في الإسلام-المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر
- 6-ابن عاشور-محمد الطاهر بن عاشور - التحرير والتنوير -الدار التونسية للنشر - تونس1984-
- 7-ابن كثير-البداية والنهاية-دار الفكر-دمشق-1986
- 8-ابن كثير- تفسير القرآن العظيم - المحقق: محمد حسين شمس الدين- دار الكتب العلمية بيروت -الطبعة: الأولى - 1419 هـ
- 9-ابن منظور-جمال الدين ابن منظور الأنصاري- لسان العرب -دار صادر - بيروت -الطبعة الثالثة - 1414 هـ
- 10-أبو داود السجستاني -سنن أبي داود -تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد -المكتبة العصرية- صيدا - بيروت
- 11-أبو زهرة-محمد أبو زهرة-الوحدة الإسلامية-المكتب الفني للنشر-القاهرة1958-
- 12-حسن-د. عثمان علي حسن -آثار الافتراق على الأمة الإسلامية- موسوعة البحوث والمقالات العلمية -المكتبة الشاملة

- 13- الحموي-أحمد بن محمد الحموي- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير- المكتبة العلمية - بيروت
- 14-الرازي-فخر الدين الرازي- مفاتيح الغيب- دار إحياء التراث العربي - بيروت- الطبعة الثالثة - 1420 هـ
- 15-الزمخشري -الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل- دار الكتاب العربي - بيروت -الطبعة: الثالثة - 1407 هـ
- 16-سالم- عطية محمد سالم-مرتكزات التضامن والوحدة-الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة-العدد61-1404هجري
- 17-السعدي-عبد الرحمن بن ناصر السعدي- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان -تحقيق عبد الرحمن اللويحق- مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى 1420هـ
- 18-الشاوي-محمد توفيق الشاوي-مقدمة كتاب فقه الخلافة-مؤسسة الرسالة
- 19- الشنقيطي-محمد الأمين الشنقيطي- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن -دار الفكر- بيروت-1415 هـ
- 20-الطبري-محمد بن جرير الطبري- تفسير الطبري- دار هجر الطبعة: الأولى، 1422 هـ
- 21- العودة-سلمان العودة فقه الموقف-نسخة d- المكتبة الشاملة
- 22-فضل الله-محمد حسين فضل الله-عوامل تمزق المسلمين و إشكالية- <http://arabic.bayynat.org/articlepage.aspx?Id=8011>
- 23-قطب-سيد قطب في ظلال القرآن دار الشروق - بيروت- الطبعة: السابعة عشر - 1412هـ
- 24- القرطبي -الجامع لأحكام القرآن -دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ
- 25-المبارك -محمد المبارك-الوحدة الاسلامية-الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة-السنة العاشرة-العدد الرابع

26- الموسوي-نزار الموسوي-مقالة الوحدة الإسلامية-مجلة النبأ-العدد45-ايار2000 <http://annabaa.org/nba45/wahdaislamya.htm>

27- ياسين-مرفق ياسين- ندوة الإيمان الخامسة- جامعة الإيمان-اليمن-1429
<http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?Articleش>